الدلالة الوظيفية لـ"لعل" في القرآن الكريم
ودور السياق في توجيه معانيها

الدكتور مراد حميد عبدالله العبدالله

توطئة

يسلط هذا البحث الضوء على إحدى أخوات "إن واخواتها" وهي "لعل" وما لها من دور بارز في توجيه الدلالة السياقية للنص، لاسيما النص القرآني الذي وظف هذه الأداة في آيات عدة، فكان من شأنها أن تؤدي دلالات محددة وفق المنظور السياقي العام والخاص، في حين لم ننس استعمال العرب لها وما تؤديه من دلالات ومعانٍ خارج النص وداخله فضلاً عن صورها المتعددة وأشكالها التي ما نرى منها مستعملاً بكثرة، في حين الصور الأخرى لا نرى لها أيّ استعمال يذكر في القرآن خصوصاً وندرته في الشعر والكلام العربي، وقد قُسم البحث إلى قسمين رئيسين، هما:

القسم الأول: الجانب النظري: الذي ركز على تتبع استعمالات "لعل" واستقراء معانيها وصيغها وصورها عند النحاة العرب القدامى، وقد اعتمدنا على أمهات كتب النحو في تتبع ذلك.

القسم الثاني: الجانب التطبيقي: الذي ركز على توظيف "لعل" وصورها في الآيات القرآنية وما تؤديه من معانٍ وفق السياق التوظيفي لها، ومن ثم اخترنا بعض النماذج التي وظفت هذه الأداة فضلاً عن التحاقها بالضمائر، وما قد يصاحب ذلك من تغير في دلالتها الوظيفية تبعاً لسياق الحال العام.

القسم الأول

آراء النحاة حول "لعل" في التراث العربي القديم:

تعد "لعل" أحد الأحرف المشبهة بالفعل، وقد شبهت بالأفعال؛ لأنها لا تدخل إلا على الأسماء، وسميت كذلك لأنها تشبه الفعل التام المتصرف المتعدي معنى ولفظاً من حيث تكوينها الثلاثي لذلك كانت مشابهتها للأفعال أقوى؛ فكان عملها أقوى، فضلاً عن أن الحروف كلها مبنية وهي لا محل لها من الإعراب أي أنها لا تتأثر بالعوامل، وهذا يعني أنها لا تأخذ موقعاً وظيفياً من الجملة فلا تكون فاعلاً أو مفعولاً أو غير ذلك، في حين ذهب النحاة إلى تعريف الحرف أنه ما دل على معنى في غيره أي أنه ليس له معنى مستقل يقتضي أن يكون له موقع في الجملة لينتج عنه حالة إعرابية، وتنتمي "لعل" إلى فئة النواسخ العربية كونها إحدى أخوات "إنَّ" الثمانية، أما وظيفتها النحوية فلا تتعدى وظيفة أخواتها وباتفاق أغلب النحاة، إذ تدخل على المبتدأ والخبر فتقوم بنصب المبتدأ اسماً لها وتبقي على رفع الخبر ليكون خبراً لها[1]، وقد اتفق النحاة على أن هذه الحروف قد عملت عمل الفعل

١- انظر: النحوي، ابن علي بن يعيش، **شرح المفصل**، مصر: إدارة الطباعة المنيرية، ٨٥-٨٦، المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (١٩٩٤م)، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، القاهرة: مطبعة الأهرام، ط٣، ج٤، ص ١٠٨-١٠٩، والرضي، محمد بن الحسن الإستراباذي السمنائي النجفي، **شرح الرضي لكافية ابن الحاجب**، تحقيق: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج٤، ص٣٣١، وعبده، داود، (١٩٩٨م) **التطبيق النحوي**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط٢، ص٣٣.

فأشبهت وظيفتها وظيفة الفعل من جهتين هما:[1]

١- من جهة اللفظ: لأنها مبنية على الفتح وتركيبها من ثلاثة حروف كالأفعال الماضية وإمكانية دخول نون الوقاية عليها.

٢- من جهة المعنى: ذهب بعضهم إلى أنها تحمل معنى الفعل "ترجيت"، فضلاً عن أن هذه الأحرف تطلب الأسماء وتختص بالدخول عليها، فتنصب المبتدأ تشبيهاً لها بما تقدم مفعوله على فاعله، نحو قولنا: "ضرب زيداً عمرو"، وقيل: إنه قدَّم المنصوب على المرفوع قصداً إلى الفرق بينها وبين الأفعال التي هي أصلها.

ويمتاز خبر "لعل" الذي يكون إما اسماً أو فعلاً أو ظرفاً قياساً إلى خبر "إن"، كما في قولنا "لعل زيداً صديقٌ لك، لعل زيداً في الدار"، ويلاحظ في خبرها أيضاً أن يكون جملة فعلية فعلها مضارع أو ماض وهي على الشكل الآتي" لعل الصديقَ قادمٌ، لعل زيداً يقدمُ، ولعل زيداً قام" في حين منع الرماني والحريري وقوع خبر لعل فعلاً ماضياً[2]؛ لأن ما تدل عليه "لعل" من معنى

١- انظر: ابن الأنباري، عبدالرحمن بن محمد بن عبيدالله، (١٩٩٧م)، **أسرار العربية**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت لبنان: منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، ط١، ٩٢-٩٣، وأبو المكارم، علي، (٢٠٠٨م)، **الحذف والتقدير في النحو العربي**، مصر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ص٧٣، وبابو، غياث محمد، (٢٠٠٩م)، **الجملة الإنشائية بين التركيب النحوي والمفهوم الدلالي**، (بحث دكتوراه غير منشور)، سوريا: جامعة تشرين كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، ص٦١.

٢- انظر: السيوطي، الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، (١٩٩٨م)، **همع الهوامع**، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت لبنان: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط١، ج١، ص١٣٥.

الإشفاق والطمع لا يمكن أن يكون إلا في المستقبل، بذلك لا يجوز أن يأتي خبرهما فعلاً ماضياً، وإن جاء ماضياً فإنه يؤول بالمستقبل[1]، في حين ذهب آخرون إلى جواز اقتران خبرها بـ"السين"[2] واستشهدوا بقول الشاعر:

فقولا لها قولاً رفيقاً ... سترحمني من زفرة وعويل

لعلها

وكذلك يمكن اقتران خبر لعل مع "إن" كما في قولنا "لعل زيداً إن أتيته أعطاك" لتسد مسد الخبر، وإذا تركبت "لعل" مع الجملة الاسمية فإنها ستغير المعنى الدلالي لها من جملة محتملة للصدق والكذب إلى جملة لا تحتمل ذلك، فضلاً عن ذلك حدوث تغيير في الصيغة والشكل النحوي لها، نحو لعل بكراً خارجٌ[3]، وذهب المبرد[4]إلى التفضيل في اقتران خبر لعل بـ"أن" من عدمه بقوله: "إذا ذكرت الفعل فهو بغير "أن" أحسن لأنه خبر ابتداء، قال عز وجل: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾ "الطلاق١"، ووافقه في ذلك ابن يعيش

١- انظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، (١٩٨٣م) **معاني القرآن**، بيروت عالم الكتب، ط٣، ج١، ص٢٥، والبب، إبراهيم، وبابو، غياث أحمد، أصول الدلالة التركيبية في التمني والترجي، "بحث منشور" مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد٣٠، العدد٢، السنة، ٢٠٠٨م، ص١٥١.

٢- انظر: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: عبداللطيف محمد الخطيب، الكويت: السلسلة التراثية، ط١، ٢٠٠٠م، ج٣، ص٥٢٨.

٣- السابق نفسه، ص١٥٢.

٤- انظر: **المقتضب**، المبرد، ج٤، ص١٢٨.

في عدم وقوع "إن" المشددة بعد "لعل" إذا كانت تحمل معنى الطمع والإشفاق لأنه يكون أمراً مشكوك في وقوعه، فـ"إنّ" المشددة تكون دالة على التحقق واليقين فلا تقع إلا بعد شيء مؤكد، يضاف إلى ذلك يمكن اقتران خبر لعل بفعل مضارع مقترن بـ"سوف" يحمل معنى التسويف المباشر بوقوع الفعل في المستقبل واستشهدوا بقول الشاعر:

فقولا له قولاً رفيقاً لعلها ... سترحمني من زفرة وعويل

وحكى ذلك الأخفش واستشهد بقوله: "لعل زيداً سوف يقوم"[1] فضلاً عن ذلك لا تدخل "لعل" على مبتدأ في خبره معنى الطلب؛ سواء أكان ذلك الخبر مفرداً أم جملة ولا يقترن خبرها بالفاء أبداً أيضاً[2]، وذهب آخرون ومنهم قوم بنو عقيل إلى أن "لعل" ما هي إلا حرف جر زائد، نحو قولهم "لعل زيدٍ قائم" واستشهدوا بقول كعب بن سعد:

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة ... لعل أبي المغوار منك قريب

فتُعرب لعل في أعلاه حرف جر شبيه بالزائد وأنها ليست حرفاً أصلياً؛ لأنها لا تحتاج إلى تعليق، وفي لعل الجارة أربع لغات وهي: علَّ ولعلَّ بفتح اللام وأيضاً لعلِّ وعلِّ بكسر اللام وهو ما أكده ابن مالك أيضاً كونها لغة

١- انظر: ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج٨، ص٨٦.

٢- المبرد، **المقتضب**، ج٤، ص٧٣-٧٤.

عقيلية، في حين تكون لعل غير عاملة حين تتصل بها "ما" فتكفها عن العمل[1]، واستشهدوا لذلك بقول الفرزدق:

أعد نظراً يا عبد قيس لعلما أضاءت لك النار الحمار المقيدا

وذهب صاحب الإيضاح إلى أنها ما أن تلحقها "ما" الكافة تنزلها عن العمل لأنها لا تدخل على الأفعال، وحين دخلت على ما يشبه الفعل أخرجتها عن العمل لأنها أصبحت كالجزء منها فكفتها عن العمل وهو البناء على الفتح[2]، وذهب الفراء إلى أنه يجوز في اتصالها بـ"لعل" أن تبقى عاملة وعدم كفها عن العمل نحو قولنا: "لعل ما بكراً قادمٌ"، وقد وجد ذلك شائعاً عن الكسائي[3].

لغات لعل في التراث العربي القديم

انمازت "لعل" بتعدد لغاتها التي ورد سماعها عن العرب، فأخذت بعد ذلك حيزاً كبيراً من اهتمام علماء النحو والعربية على حد سواء، فبدأت عمليات التفسير والتأويل تأخذ مسارها في تفسير هذه اللغات فكانت هناك

١- انظر: سلطاني، محمد علي، **الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم**، "دمشق: دار العصماء، ط١، ٢٠١٠م"، ص١١٧، والمرادي، **الجنى الداني في حروف المعاني**، ص٥٨٦.

١- انظر: ابن الحاجب، أبو عمر عثمان، **الإيضاح في شرح المفصل**، ج٢، ص١٦٣.

٣- انظر: **شرح الرضي على الكافية**، ج٤، ص٣٣٩، والأندلسي، ابن حيان، (١٩٩٨م)، **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط١، ج٢، ص١٥٨.

لغات ورد منها ما كان مستعملاً في كلام العرب وشعرهم ومنها ما كان مسموعاً نادراً لم يصلنا منه سوى أحاديث نادرة، وقد اختلف النحاة في أصل تركيبها هل هي "لعل" أو "عل" فكان الخلاف واضحاً بين نحاة المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية في شأن حذف اللام الأولى من عدمها فتصبح "عل" وتبقى بمعناها وبعملها، فكان الخلاف واضحاً حول أصالة اللام أو زيادتها فذهب نحاة الكوفة إلى عدها لاماً أصلية واحتجوا على أصالتها بأنها حرف ومكونات الحروف أصلية، وذهبوا إلى أن جميع حروف الزيادة "سألتمونيها" تختص بالأفعال والأسماء أما الحروف فلا يدخلها شيء منها.

وذهب النحاة البصريون إلى عدها لاماً زائدة جائز حذفها، واستدلوا على ذلك بكثرة ورودها وتواترها عن العرب واستشهدوا بأقوال عدة لشعراء عرب منهم:

ولا تُهـــينَ الفقيـــر علـــك أن تركـــع والـــدهرُ قـــد رفعـــه

فلما وجدوها مستعملة بهذا الشكل استدلوا على كونها لاماً زائدة، وقد وافق ابن الانباري الكوفيين في كون اللام الأولى أصلية في "لعل" ورد البصريين فيما ذهبوا إليه[1]، في حين ذهب آخرون ومنهم المبرد إلى عدّ اللام الأولى لام ابتداء وقيل إنها زائدة جيء بها لمجرد التوكيد وهو مذهب

١- انظر: ابن الأنباري، أبو البركات، (٢٠٠٢م)، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين**، تحقيق: جودة مبروك محمد جودة، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط١، ج١، ص١٧٩-١٨٦.

سيبويه[1]، في حين لو فتشنا في القرآن الكريم عن ورود "لعل" على لغة أهل الكوفة فإننا لا نجد لهذه اللغة أي استعمال يذكر، فـ"لعل" ورد استعمالها في القرآن دائماً مقترناً باللام ولم ترد بصيغة "عل"[2].

لقد اتفق أغلب علماء النحو على أن في "لعل" اثنتي عشرة لغة، وهي كالآتي:

"لعل، لعلتْ، عل، لعن، عن، لأن، أن، رعل، رعن، رغن، لغن، غن"، ويتضح من هذه اللغات أن الاختلاف فيما بينها لا يخرج عن خلاف القبائل في نطق الحروف، فاللغة المشهورة الاستعمال هي "لعل وعل"، في حين أُبدلت اللام نوناً فقيل"لعنّ، وعنَّ"، ومن ثم أُبدلت العين همزة فقيل"لأن وأن"، وكذلك أُبدلت اللام راء فقيل رعل[3]. لكن عند تصفحنا لأغلب كتب اللغة عند القدماء وتجوالنا بين أبيات الشعر العربي القديم لم نجد استعمالاً واضحاً لهذه اللغات سوى ما وجدناه من استعمال "لعل و عل" على الرغم من إقرار النحاة بذلك، وإذا ما انتقلنا إلى القرآن وجدنا أنه يؤيد هذا الرأي فلم

١- انظر: المرادي، الحسن بن قاسم المرادي، (١٩٩٢م)، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، ط١، ص٥٨٠، وسيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، (د ت)، **الكتاب**، لبنان: دار الجيل، ج٣، ص٣٣٢.

٢- انظر: الشريف، محمد حسن، **معجم حروف المعاني في القرآن الكريم**، مؤسسة الرسالة، ج٣، ص٩٢٨.

٣- السابق نفسه، ص٥٨٢.

نجد سوى استعمال واحد[1]وهذا يجرنا إلى شيئين هما: إما أن تكون هذه اللغات قد اندثرت منذ وقت طويل حتى قبل العصر الجاهلي من جانب، وقد تكون موجودة في إحدى اللغات القديمة التي عُثر عليها في الألواح من جانب آخر.

معاني "لعل" عند العرب

تتضمن الحروف والأدوات في اللغة العربية معاني عدة وهي منفردة، وهذه المعاني لا يمكن أن تتجلى إلا من خلال التركيب، إذ تبرز حدودها وتتعين معالمها. وتوظيف الحرف في النص قد يؤدي دلالة مغايرة لينتج عنه اختلاف في الحكم المعد له سلفاً، هذا يعني أن لمقتضى الحال ومقام الكلام أهمية كبرى في تحديد المعنى المراد من هذه الحروف، ومن ثمَّ يكون السياق اللغوي هو الوسيلة الأنجح التي تستعمل لتحديد هذه المعاني، فالحروف ليس لها معنى معجمي؛ لأن ما يتضمنه الحرف من الدلالة إنما يحدده التركيب، غير أن هذه الدلالة غالباً ما تبقى ذات توجهات مختلفة ومحتملة حتى ينتظم الحرف في عبارة تجره لمقصد معين وتزيل ذلك الاحتمال[2]، فالسياق اللغوي ما هو إلا بيئة لغوية للنص من مفردات وجمل

١- انظر: عضيمة، عبدالخالق، (د.ت) **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، القاهرة: دار الحديث، دار الحديث، ق١، ج٢، ص٦٠٠-٦٠١، وشرح المفصل لابن يعيش، ج٨، ص٨٨.

٢- انظر: قباوة، فخر الدين، **التحليل النحوي أصوله وأدلته**، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ٢٠٠٢م، ص٢١١.

وخطاب[1]، فكلما حاولنا أن نفهم معناها في نص محتمل الدلالة، وجدنا أنفسنا مضطرين إلى إعادة الربط السياقي بما قبله وما بعده مما يجعلنا نفهم قصد المتكلم بشكل محدد، فالكثير من القضايا الدلالية يتوقف فهمها على فهم الدلالة التركيبية التي يؤديها الحرف في النص، فالأصل في معرفة هذه الدلالات هو التأمل في الكلام، فضلاً عن أن دلالة الحرف في النص تؤدي إلى الاختلاف في الحكم، لذلك يُعتمد على النصوص القرآنية لفهم معاني الحروف واستنباط أحكامها[2]، فالسياق يشكل الحجر الأساس الذي يُعتمد عليه في تحديد هذه المعاني التي يتضمنها النص اللغوي، فهو يجعل ما حُذف مذكوراً والمضمر ظاهراً والمجمل مبيناً والعام خاصاً والخاص عاماً وما اختلط أمره اتضح وما تعددت أوجهه، حددت بمعنى واحد[3]فضلاً عن توفر مجموعة من القرائن التي تصاحب توظيف هذه الأدوات التي قد يصادف أن يكون للكلمة أكثر من معنى معروف أو متداول، لذلك يكون السياق أحد هذه القرائن، التي تعمل على التفريق والاختيار بين المعاني، ويمكن أن تقسم على قسمين هما[4]:

١- انظر: المناع، عرفات فيصل، **السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي**، لندن: مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ٢٠١٣م، ص١٣.

٢- انظر: عرابي، أحمد، **أثر حروف المعاني في تعدد المعنى**، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق العدد٩٨، سنة٢٣/آذار، ٢٠٠٣.

٣- انظر: محمود، المثنى عبدالفتاح، **نظرية السياق القرآني (دراسة تأصيلية دلالية نقدية)**، الأردن: دار وائل، ط١، ٢٠٠٨م.

٤- انظر: **أثر حروف المعاني في تعدد المعنى**، ص٢٥٩، **والسياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي**، ص٢٣.

١- القرائن السياقية المعنوية.

٢- القرائن السياقية اللفظية.

فالأداة ما هي إلا وسيلة يستعان بها لتأدية معنى معين وهي عند المناطقة لفظ لا يدل على معنى إلا عند اقترانه بغيره، فاختلف الباحثون في تحديد المفهوم النحوي لها فقيل ما هي إلا حروف المعاني وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف، وقيل هي كلمات تستعمل للربط بين المفردات أو الدلالة على معنى غيرها، وقيل إنها تقتصر على حروف المعاني أو تشمل معها الظروف أو هي الحروف التي تحمل معنى نحوياً[١]، لذلك لجأ مجموعة من علماء النحو إلى تحديد معاني الحرف المشبه بالفعل "لعل" عبر المعنى العام الذي يحمله الحرف والمعنى السياقي الذي يُحدد معنى الحرف والأسلوب الذي ترد به، فكل أداة وهي مجردة تحمل معنى الفعل أو المصدر أو المشتق أي تحمل الحدث المضمن في أحد هذه العناصر الثلاثة، ثم ترى ذلك يتحقق حين تدخل هذه الأداة في سياق التعبير فتصبح حاضرة المقاصد مثل "كأن العلم نور" أي أُشبه العلم بالنور "ليس الشباب دائماً" أي أنفي دوام الشباب، فهذه العبارات تبدت فيها معاني الأدوات من داخل التركيب، فإذن كل منها يمثل مهمة وظيفية نحوية تساعد على إنجاز مقاصد الكلام[٢]، قال ابن منظور: "قال الجوهري: لعل كلمة شك...وهي

١- انظر: **أثر حروف المعاني في تعدد المعنى**، ص٢٠٨.

٢- انظر: **التحليل النحوي أصوله وأدلته**، ص٢٤٣-٢٤٥.

كلمة رجاء وطمع وشك وقد جاءت في القرآن بمعنى كي"[1]، ومن جهة حاول علماء النحو تحديد معاني لعل عبر مجموعة من الآراء يمكن تلخيصها على الشكل الآتي[2]:

١- التعليل: لقد اتفق كل من الأخفش والكسائي على المعنى العام الذي تحمله لعل وهو التعليل، كما في قوله تعالى: "لعلكم تشكرون، لعلكم تهتدون" أي لتشكروا ولتهتدوا.

٢- الإشفاق والترجي "التوقع": ذهب الفراء وتابعه الزمخشري وآخرون إلى أن "لعل" تحمل معنى الترجي والإشفاق؛ فالترجي هو حدوث أمر ما وارتقاب ويكون في الممكن وتوقع شيء محبوب نحو "لعل الله يرحمنا"، والإشفاق يكون في المكروه نحو"لعل العدو يقدم"[3]، والترجي في اللغة هو الرجاء والأمل وهو نقيض اليأس، واختلفت ماهية معنى الترجي عن معنى التمني من جهة واحدة وهي استعمال التمني في الممكن حصوله أو المحال نحو "ليت الشباب يعود يوماً"؛ لأن ماهية التمني هي محبة حصول شيء سواء أكنت تنتظره وترتقب حصوله أم لا، والترجي لا يكون إلا في الممكن فقط فلا نقول "لعل الشباب يعود يوماً" أي ارتقاب شيء لا وثوق بحصوله، وذهب آخرون إلى أن "لعل" تحمل معنى الطمع والإشفاق، فالطمع هو

١- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (د ت)، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ج١٤، ص١٢٨.

٢- انظر: **الجنى الداني في حروف المعاني**، ص٥٨٠-٥٨١، والفراء، **معاني القرآن**، ج١، ص٢٧٨-٢٨٠.

٣- انظر: الفراء، **معاني القرآن**، ج١، ص٢٧٨-٢٨٠.

ارتقاب شيء محبوب نحو قولنا: "لعلك تعطينا" والإشفاق يحمل ارتقاب المكروه نحو قولنا: "لعلك تموت الساعة"[1]، وبين الرازي أن هذين المعنيين لا يحصلان إلا عند الجهل بالعاقبة[2].

٣- إظهار المستحيل في صورة الممكن وهي أن تدل لعل على إمكانية حدوث المستحيل لو توفرت بعض الأمور لإتمامه، واستشهدوا لذلك بقول الشاعر:

أسرب القطا هل من يعير لعلي إلى من قد هويت أطيرُ

فذهبوا إلى أن الأمر يبدو قريب التحقيق لا يعيقه سوى استعارة جناح قطاة، وذهبوا إلى أن هذا المعنى نراه في قوله تعالى: ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى﴾ غافر٣٦"[3].

٤- ذهب الكوفيون إلى أن لعل تحمل معنى الاستفهام واستشهدوا بتخريج ابن مالك لقوله تعالى: ﴿وما يدريك لعله يتزكى﴾، ﴿لا تدري لعل

١- انظر: **شرح الرضي على الكافية**، ج٤، ص٣٣٢، **وهمع الهوامع**، ج١، ص١٣٤، وابن عقيل، بهاء الدين عبدالله، (١٩٨٠م)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (القاهرة: دار التراث)، ط٢٠.، ج١، ص٣٤٦.

٢- انظر: فخر الدين، محمد الرازي، (١٩٨١م)، **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ج٢، ص١٠٠و ج١٢، ص٢٢٥.

٣- انظر: محمد علي، **الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم**، ص١١٨.

﴿لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾، وهذا ما رده البصريون، في حين نجد سيبويه يؤيد خروجها للاستفهام ويقول في "لعل زيداً قائم" أي هل هو كذلك؟[1].

نلحظ من خلال تحديد هذه المعاني اعتماد أغلبها على بعض الأقوال والآيات التي حددت معاني معينة وفقاً لسياقات محددة، لكن ما أن تربط هذه الأداة بسياق موقف خارجي بيئي غير لغوي يمكن أن يعطينا معنى مغايراً لما حددته هذه المقولات والآيات، وهذه البيئة تُخضِع الأداة بالقوة لما تريده من معاني توجهها حسب مقتضيات الكلام، وتتخلل هذا السياق وقت ومكان إطلاق النص، فضلاً عن العلاقة بين منشئ النص والعوامل المحيطة به سواء السابقة أم اللاحقة[2].

١- انظر: الفراء، **معاني القرآن**، ج١، ص٢٨٠، والمرادي، **الجنى الداني في حروف المعاني**، ص٥٨٠-٥٨١، وابن هشام، **مغني اللبيب في كتب الأعاريب**، ج١، ص٢٥٠، **ودراسات لأسلوب القرآن الكريم**، ق١، ج٢، ص٦٠٤، وسيبويه، **الكتاب**، ج٤، ص٣٣٣.

٢- انظر: المناع، عرفات فيصل، **السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي**، ص٢٥.

القسم الثاني

الجانب التطبيقي

الدلالة الوظيفية لـ"لعل" في النص القرآني:

تعد الدلالة الوظيفية للكلمات المفردة غير مجدية وليس لها قيمة دلالية مقارنةً مع الدلالة التركيبية، فمن المعروف أن لا دلالة بلا تركيب ولا تركيب بلا دلالة، فالتركيب هو من يفرز لنا الدلالات الوظيفية للكلمات التي لا يمكن تمييزها مع الإفراد، فالجملة وحدة تركيبية دلالية متكاملة حاملة معنى معين يرتبط بعضها ببعض، فضلاً عن ارتباطها بسياق حال خارجي أو بسياق ثقافي وهو العامل الأساس الذي ينشأ فيه النص، إذ يشكل السياق الثقافي عاملاً مساعداً في تمييز المعنى المراد، فلكل بيئة أو زمن ثقافة وعادات خاصة تتميز به؛ لأن اللغة تتأثر بكل الظواهر الاجتماعية والبيئية والثقافية تأثراً واضحاً؛ لذلك ذهب معظم علماء اللغة إلى عد دراسة اللغة بمعزل عن محيطها الثقافي الذي نشأت به فاشلة ولا يمكن أن نصل بها إلى نتائج مفيدة[1]، والمكونات التركيبية والدلالية في الجملة هي تلك الوحدات الدالة وغير الدالة التي تعد أصغر جزئيات الكلمة لتتركب هذه الكلمات مؤلفة وحدات كبرى دالة تتضمن معاني ودلالات حسب طبيعة التركيب اللغوي نفسه والغرض الذي لأجله سيقت الجمل، لتتفاعل مع بعضها مكونة الجمل، تجمعها علاقة نحوية ودلالية وبلاغية، وتعد هذه هي المكونات الرئيسة في

١- انظر: المناع، عرفات فيصل، **السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي**، ص٢٧.

إنتاج النص اللغوي[1]، وحين نلحظ توظيف "لعل" في النص اللغوي فإننا نقوم بتوظيفها تبعاً لمعطيات تخص المتكلم نفسه، والمخاطب أيضاً لتؤدي أكثر من معنى، وهذا التعدد يتبع طريقة النظر والفهم والمراد في الوقت نفسه، فالحرف كما عرفه علماء اللغة بأنه ما جاء لمعنى، ومنهم من ذهب إلى تعريفه بأنه ما دل على معنى في غيره[2]، أي أن المعنى ليس للحرف نفسه بل للكلمات التي تختص بالدخول عليه، لذلك بني عليه بأن الحرف ليس له معنى إفرادي، فإن كل منها لا يدل على المعنى، فكل من هذه الحروف لا تحصل على معانيها حتى تضاف إلى التركيب التوظيفي المناسب حسب المعايير المعدة لها مسبقاً، فالدلالة المعنوية للحرف ليست له بل للكلمات التي تختص به، فالمراد بـ"ال" حين ترد للتعريف أن الاسم المتصل بها هو المعرف وليس لـ"ال" نصيب في ذلك، فالحروف ترد لمعنى في الاسم والفعل فتكون إما لتوكيد الجملة أو نفي مضمونها أو عطف بعض الكلام على بعض، لذلك شاع عند المتأخرين أن دلالة الحرف على معنى في غيره يراد بها أن الحرف ليس له معنى إفرادي فلو قلنا "ال" لم يفهم منها معنى حتى إذا اقترنت بالاسم فأفادت دلالة "التعريف"، فالحرف لا يحمل في طياته معنى معجمياً؛ لأن ما يتضمنه من الدلالة إنما يحدده التركيب، فالحرف ذو دلالة معنوية ظاهرة، غير أن هذه الدلالة غالباً ما تبقى ذات توجهات مختلفة محتملة حتى ينتظم الحرف في عبارة تجرده لمقصد معين تزيل عنه ذلك

١- انظر: البب، إبراهيم، وبابو، غياث أحمد، أصول الدلالة التركيبية في التمني والترجي، ص١٥٣.

٢- انظر: السيوطي، جلال الدين، (١٩٨٧م)، **الأشباه والنظائر في النحو**، تحقيق: غازي مختار طليمات، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ج١، ص٧-٨.

اللبس والاحتمال في بيان الدلالة لذلك سمي حرفاً لأنه طرف من المعنى لا يتم به وحده كحرف المبنى الذي هو عنصر من عناصر البناء للكلمة وجزء منها[1]، في حين لو نظرنا إلى توظيفها في النص القرآني فإننا حتماً سنعيد النظر في ذلك لأن المتكلم هو الذات الإلهية الذي لا يمكن أن يحمل معنى الترجي؛ فقد أظهر المفسرون على إختلافهم في المعاني التي تخرج إليها "لعل" وجدوا أن كلام الله لا تنطبق عليه أغلب هذه المعاني التي خرجت إليها "لعل" إذ لا يجوز أن يكون الخطاب القرآني شاكاً أو متمنياً أو متوقعاً بل كل كلامه سبحانه متحقق مقطوع العلم به[2]، فالترجي والتوقع في كلام الله سبحانه وتعالى إنما يرجع إلى المخاطبين[3] فمعنى "لعل" في قوله تعالى: ﴿**لعل الساعة قريب**﴾ (الشورى١٧)، لا يمكن أن يكون توقعاً ولا حتى ترجياً من جانب الله سبحانه وتعالى وهو المعنى الذي يمكن أن ينطبق على المخاطب مضافاً إليه معنى الإشفاق، وقد يخرج معناها فتستعمل للتخويف، فإن الساعة قضية يتخوف منها كل مؤمن، وفي جميع المواضع التي فيها توقع أو ترجي التقوى أو الشكل أو الهداية أو التعقل أو التفكر أو غيرها باستخدام

١- انظر: **التحليل النحوي أصوله وأدلته**، فخر الدين قباوة، ص٢٠٩-٢١١.

٢- انظر: الصغير، محمود أحمد، (٢٠٠١م)، **الأدوات النحوية في كتب التفسير**، لبنان: دار الفكر المعاصر، ط١ ، ص٦٨٢.

٣- انظر: سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص١٦٧.

"لعل" فأن هذا التوقع أو الترجي يرجع إلى المخاطبين لا إلى الله سبحانه وتعالى[1].

تبدو الآيات القرآنية ذات نسيج متناسق ومتين تشير إلى إعجاز الله سبحانه وتعالى، وهذا النسيج الذي تتميز به هذه الآيات، إنما تحكمه العلاقات السياقية التي تعد هي الأساس في عملية بناء النص، وبدونها يبدو النص مجرد مقاطع صوتية غير مفهومه، فضلاً عن أن هذه العلاقات تؤدي مجموعة من الوظائف النصية التي تسهم بشكل فاعل في إنتاج نص متماسك يمنحه صفة المقبولية، وهذا بدوره يضمن نجاح عملية الاتصال اللغوي وذلك لتحقيق معايير النصية أو الكفاءة النصية، التي تجعل من النص شبكة نسيجية من الصعب فك ارتباطها لأنها تعزز مسألة كون النص نسيجاً من المكونات اللفظية والدلالية التي تترابط فيما بينها لتشكل النص[2]، فأغلب الآيات القرآنية التي وظفت الحرف "لعل" تميز السياق الترابطي فيها بتوجيه معانيها، فقد اعتمد أغلب علماء اللغة إلى وصف النص الديني تبعاً لقائله، وهذا ما حيَّد عملية تخريج المعاني التي خرجت إليها لعل، والتي حُددت أساساً من لدن علماء اللغة القدامى وكما بينا سابقاً، ومن ثمَّ أصبحت المعاني التي خرجت إليها "لعل" حين توظيفها في النص القرآني

١- انظر: الشريف، **محمد حسن، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم**، مؤسسة الرسالة، ج٣، ص٩٢٨.

٢- انظر: الجراح، عبدالمهدي هاشم، **العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية**، "الأردن: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٧٧، سنة٢٠٠٩م"، "بحث منشور"، ص١٥٧.

معدودة على الأصابع مبتعدة عن المعاني الأصلية، وهذا جعل عملية البناء الدلالي لهذا الحرف عملية معقدة نوعاً ما، فعلى سبيل المثال نلحظ أن قوله تعالى: ﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ فهذه الآية لا تشير إلى ترجي الله سبحانه من فرعون ولا يمكن أن يقال ذلك على لسانه، بل يكون المعنى على الشكل الآتي: اذهبا أنتما على رجائكما وقولا له القول الذي ترجوان به[1]، فالمعنى النصي والسياقي الذي تخرج له "لعل" في آيات النص القرآني ليست معاني ناتجة عن علاقة لفظة بأخرى داخل الجملة، إنما هي علاقة جملة بأخرى، فمستعمل اللغة لا يتواصل مع غيره على أساس الجملة بل على أساس البنية النصية ككل، فوجود المكون التداولي إضافة إلى المكونين النحوي والدلالي سيؤديان حتماً إلى تحديد مدى مناسبة الجملة والخطاب للسياقات التواصلية المنجزة فعلاً ليؤدي في النهاية إلى التأثير الإيجابي في نفسية المستقبل مما يجعله يتفاعل ويستمر مع البنية النصية[2]، فالبنية النصية عبارة عن إطار ذهني مجرد للكلمات المفردة؛ أي أن البنية مفهوم حرفي لا ينطق والكلمة مفهوم معجمي منطوق بينما اللفظ هو مفهوم استعمالي تتحقق به الكلمة بالفعل بوساطة النطق أو الكتابة في محيط الجملة[3].

١- انظر: **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، ق١، ج٢، ص٦٠٤، و**المقتضب**، ج٤، ص١٨٣.

٢- انظر: الجراح، عبدالمهدي هاشم، **العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية**، ص١٥٧.

٣- انظر: **البيان في روائع القرآن**، تمام حسان، ص٢٩.

في حين نلحظ أن التوظيف النصي لـ"لعل" في القرآن قد أخذ أشكالاً متعددة من حيث التوظيف التركيبي وما يسبقها وما يليها، إذ تعد قرينة الرتبة الموقعية في التركيب القرآني قرينة نحوية فضلاً عن كونها قرينة على المعنى في حين تعد مؤشراً أسلوبياً ووسيلةً للإبداع وتقليب العبارة واستجلاب المعنى الأدبي[١]، فالعلاقات السياقية تعد من المرتكزات الهامة في الكشف عن طرق البناء النصي، إذ انشغل عدد كبير من علماء النص واللسانيين في بحث أدوات النص واتساقه وانسجامه، فالعلاقات النصية هي التي تدعم البنية النصية التي تقوم على التماسك والانسجام نظراً لأهميتها في تحقيق ما اصطلحوا على تسميته بالكفاءة النصية[٢]، فعند الوقوف على توظيف لعل في القرآن وتفاعلها السياقي مع تركيبها نلحظ الآتي[٣]:

أ- وردت "لعل" في القرآن بشكل إجمالي ما يقارب مئة وثلاث وثلاثين مرة[٤]، في حين ذهب آخرون إلى أنها وردت مئة وتسعاً وعشرين مرة.[٥]

١- السابق نفسه، ص٦٧.

٢- انظر: الجراح، عبدالمهدي هاشم، **العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية**، ص١٥٢.

٣- انظر: الهلالي، هادي عطية مطر، **الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين**، "بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٦م"، ص٨٥.

٤- انظر: عبدالباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، القاهرة: دار الكتب المصرية، ص٦٤٨-٦٤٩.

٥- انظر: محمد علي، **الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم**، ص١١.

ب- وردت لعل وهي مجردة عن الاتصال بالضمائر وحروف العطف ثلاث مرات في الآيات الآتية.

قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾ (الاحزاب ٦٣).

قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (الشورى ١٧).

قال تعالى: ﴿لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (الطلاق ١).

ج- يلاحظ ورود "لعل" في التركيب القرآني متصلة بياء المتكلم في ستة مواضع وهي كالآتي:

١- قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى(٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (طه ١٠).

٢- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا... ﴾ (القصص٢٩).

٣- قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾ (غافر٣٦).

٤- قال تعالى: "فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ (القصص٣٨)

٥- قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف٤٦).

٦- قال تعالى: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون ١٠٠).

يلاحظ في الآيات أعلاه أن ما جمع بينها هو اتصال "لعل" بياء المتكلم التي أظهرت حالة الترجي على لسان متكلميها، فإمكانية حصول النبي موسى"ع" على قبس من تلك النار أو يجد أناساً يرشدونه إلى الطريق ليس بالأمر المستحيل فهو في حدود الممكن، فما جاء على لسان النبي هو محاولة في الرجاء والأمل بعد أن ضل طريقه للحصول على ما يقيه من البرد وينير به طريقه؛ لذلك قال آنست ناراً ولم يقل رأيت ناراً[١]، في حين يلاحظ أيضاً أن أربع آيات منها تركزت على ذكر قصة النبي موسىعليه السلام مع فرعون ومحاولة إظهار الترجي على لسانهما، في حين ذهب السيوطي إلى أن "لعل" تفيد التمني "لعلي أبلغ الأسباب" وإعطائها حكم "ليت" وهو مذهب القزويني من البلاغيين الذي يذهب إلى أنها تفيد التمني[٢]، في حين كانت الآية الخامسة تصب في قصة فرعون أيضاً لكن ورد ذكرها في سياق ذكر قصة النبي يوسفعليه السلام، إذ نتبين في الآيتين الأوليتين بوجود استفهام تقريري موجه من الله سبحانه إلى النبي الأكرم عندما يقص عليه قصة فرعون مع النبي موسىعليه السلام، فيذكر أن النبي موسى عندما أخبر قومه أنه ذاهب ليجلب لهم النار لم يخبرهم خبراً متيقناً أكيداً، بل تمنى فعل ذلك فقال: "لعلي آتيكم"

١- انظر: المناع، عرفات فيصل، **السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي**، ص٢٣.

٢- انظر: القزويني، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن، (٢٠٠٣م)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، بيروت، لبنان: منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، ط١، ص١٣١.

ولم يقطع القول لئلا يعد مالم يتيقن الوفاء به[1]، فيخرج المعنى النصي من خلال تتبع الآية كلِّها بأن هذا الاستعمال قد يشمل معنى آخر غير ما قُرر له من علماء اللغة، فالتمني على لسان النبي موسى في استجلاب النار في ليلة باردة مظلمة كان هو ديدنه لذلك لم يعدهم وعداً قاطعاً بذلك بل استعمل "لعل" على لسانه مستعملاً ياء المتكلم ليجعل قومه يطمئنون أكثر بأنه هو من سيقوم بالبحث والاستجلاب وليس غيره وأن ربه سيكون في عونه وهذا ما يوضحه قوله تعالى في الآيتين الكريمتين أعلاه.

بينما في الآيتين الثالثة والرابعة نلحظ أن الحوار الذي وظفت به "لعل" جاءت متصلة بياء المتكلم على لسان فرعون مخاطباً به وزيره هامان وهو يريد بناء صرح ليرتقي به إلى رب موسى ليثبت به كذب ادعاءه، لذلك دلت "لعل" في الآيتين على الأمر المباشر الممزوج بإظهار القوة والتحدي أمام وزيره، لذلك كان المعنى العام للحرف "لعل" في هذه الآيات هو الاستهزاء والتهكم للنبي موسى عليه السلام ومن ربه أيضاً الذي ادعى بأنه موجود في السماء ويمكنه الوصول إليه[2]، في حين نلحظ في سورة يوسف عليه السلام أن الله سبحانه وتعالى يظهر الخطاب الإلهي الموجه إلى نبي الله يوسف عليه السلام من لدن قومه بعد أن عجز السحرة في تفسير الرؤية، ويبين الخطاب وهم يستنجدون فيه

١- انظر: الرازي، **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ج٢٢، ص١٥.

٢- انظر: الآلوسي، شهاب الدين، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، بيروت: إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، ج٢٠، ص٨١.

في تأويل رؤية الملك فنلحظ أن الخطاب اشتمل على توظيف الحرف "لعل" في توجيه المعنى العام إلى الترجي الواضح في تفسير الرؤية؛ لأن الملك كان يعلم بخطورة هذه الرؤية بعد أن عجز الكهنة في تفسيرها، والترجي قد بولغ به بعد أن تكررت"لعل" مرتين في سياق الآية نفسها، فكانت "لعل" الثانية محاولة الملك لإظهار عظمة النبي يوسف عليه السلام لقومه؛ أي بمعنى لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبونك ويخلصونك من محنتك، فجاءت "لعل" الثانية لمعنى التعليل لقوله"لعلنا" الأولى[1]، وهذا المعنى خرج بعد قراءة سياقية نصية لتواردهما سوياً، فـ"المعنى لا يتحدد عن طريق الجملة الواحدة وإنما عن طريق التعاقب بين مجموعة من الجمل، وإذا كان فهم المعنى يتحقق عن طريق تتابع جملتين فأكثر"[2]، فمعنى النص العام للآية قد توجه إلى خروج "لعل" لمعنى الترجي خاصة بعد ارتباطها المباشر بياء المتكلم التي جاءت بطلب مباشر من الملك نفسه وهو يترجى التفسير والتأويل لرؤياه، في حين نلحظ أن الآية الأخيرة التي امتازت"لعل" باتصالها بياء المتكلم قد ختمت ذلك على لسان البشر الذي يتوفاه الله سبحانه وهو

١- انظر: الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، (١٩٩٨م)، **تفسير الكشاف**، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي معوض، الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ج٢، ٢٥٩-٢٦٠.

٢- انظر: الجراح، عبدالمهدي هاشم، **العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية**، ص١٦٧.

كافر فنرى خطابه للملائكة مترجياً[1]، وهو أمر محال بعد الموت؛ لذلك فنبرة الحزن في التركيب القرآني للآية قد سيطر عليها الترجي المتواصل في ثنايا الآية بعد توظيف "لعل" مسندة إلى ياء التكلم.

في حين وردت "لعل" متصلة بكاف المخاطب مرتين في التركيب القرآني كما في الآيات الآتية[2]:

١- قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (٢-٤الشعراء).

٢- قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ (طه١٣٠).

فذهبت "لعل" في الآية الأولى إلى معنى الإشفاق، وبخع الرجل نفسه إذا قتلها غيظاً من شدة وجده بالشيء، وقال الأخفش أصل البخع الجهد يقال بخعت لك نفسي أي جهدتها، وهذا يعني في السياق النصي للآية بصعوبة تبليغ الرسالة إلى قوم معاندين، والآيتان فيهما "لعل" بمعنى الاشفاق

١- انظر: الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج١٨، ص٦٣.

٢- انظر: الهلالي، هادي عطية مطر، **الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين**، ٨٦.

على من يقتل نفسه ويعذبها من أجل إبلاغ رسالة السماء لقوم يولون الأدبار[1].

وكذلك وردت "لعل" وهي مسبوقة بالفاء في موضعين هما:

١- قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى﴾ (هود١٢).

٢- قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ...﴾ (الكهف ٦).

في حين وردت "لعل" متصلة بهاء الغيبة في ثلاثة مواضع فقط في القرآن، وهي في الآيات الآتية:

١- قال تعالى: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أو يَخْشَى﴾ (طه٤٤). وخرجت لعل هنا إلى معنى الرجاء والطمع، فالله سبحانه لم يكن شاكاً في ذلك؛ لأن ذلك محال عليه، إنما المراد من خطابه للنبي موسى وأخيه "عليهما السلام"، فقولا له قولاً ليناً على أن تكونا راجين لأن يتذكر هو أو يخشى، أو ليرجع فرعون إلى نفسه في إنكاره للإقرار بالحق[2]، في حين ذهب آخرون إلى أن معنى "لعل" هنا قد دل على الترجي والإشفاق فالمعنى المقدر هو اذهبا في رجائكما وطمعكما وهو ما اتفق عليه كل من سيبويه والزجاج والزركشي[3].

١- انظر: الرازي، **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ج٢٤، ص١١٩، والهلالي، هادي عطية مطر، **الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين** ، ٨٦.

٢- انظر: الرازي، **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ج٢٢، ص٥٩.

٣- انظر: سيبويه، **الكتاب**، ج٢، ص٣١١، الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله، (د.ت)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: مكتبة دار التراث، ج٤، ص٣٩٢.

وكذلك وردت "لعل" متصلة بضمير المخاطبين الكاف الذي يعد من أكثر الضمائر اتصالاً بـ"لعل" إذ وردت حوالي ما يقارب اثنان وسبعون مرة والذي يقصد به عامة الناس، وهذا الاتصال جعل فيها تشبيه طلب الله سبحانه وتعالى برجاء الراجي من المرجو منه أمراً هين الحصول عليه كما في قوله تعالى: ﴿لعلكم تشكرون﴾ (البقرة١٨٥) أو قوله تعالى: ﴿لعلكم تفلحون﴾ (البقرة١٨٩)، في حين بلغ ورودها وهي مسبوقة بالواو تسع مرات كما في قوله: ﴿ولعلكم تشكرون﴾ (الجاثية ١٢)، وقوله تعالى: ﴿ولعلكم تعقلون﴾ (غافر٦٧). في حين ذهب السيوطي إلى أن المعتزلة يفسرون كل ما جاء في القرآن كقوله تعالى: ﴿لعلكم تفلحون، لعلكم تتقون، لعلكم تشكرون،...﴾ على الإرادة؛ لأن اعتقادهم بان الله لا يريد إلا الخير ووقوع الشر على خلاف إرادته[1].

في حين اتصلت "لعل" بضمير الغائبين "الهاء" اثنتين وأربعين مرة بدون أن يسبقها حرف عطف، في حين وردت ثلاث مرات جاءت فيها متصلة بحرف العطف "الواو"، كما في قوله تعالى: ﴿لعلهم يرشدون﴾ (البقرة١٨٦)، أي ليصيبوا الحق وبهتوا إليه، وقوله تعالى: ﴿لعلهم يتقون﴾ (البقرة١٨٧) أي كي يتقوا، في حين جاءت متصلة بضمير المتكلمين "نا" لمرة واحدة فقط في قوله تعالى: ﴿لعلنا نتبع السحرة﴾ (الشعراء٤٠)، التي جاءت دالة على الطمع والإشفاق[2].

١- انظر: السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن، (د.ت)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، مراجعة: أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ج١، ص٣٣٤.

٢- انظر: الهلالي، هادي عطية مطر، **الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين**، ص٨٤-٨٥.

ومما نلحظ أعلاه أن جميع الآيات التي وُظفت فيها "لعل" جاءت محددة المعنى وذلك لحساسية النص القرآني المقدس، وهذا يخالف ما نصت عليه النظرية السياقية، فقد حاول علماء اللسانيات أن يميزوا القدرة السياقية في تحديد معنى الكلمة، إذ لا توجد أية عوائق يمكن أن تلوي عنق النص في تحديد دلالته العامة سوى السياق الذي يُعين قيمة الكلمة في كل الحالات، فالسياق هو الذي يحدد دلالة الكلمة نفسها في كل مرة تحديداً يعتمد بشكل أساس على الاستعمال الأفقي للكلمات لتكون القيمة الدلالية الأخيرة محكومة بفرض قيمة واحدة بعينها للكلمة على الرغم من المعاني المتعددة التي تحتملها الكلمة، فالنمط التركيبي يصبح بحاجة إلى قرينة من خارج الجملة والنص، وهي ما تعرف بسياق الحال التي ترتبط بشكل مباشر مع المرجعيات الدلالية للنص نفسه، التي من خلالها يمكن تحديد توجهات النص بشكل عام والأداة أو الحرف بشكل خاص، وهذا ما لم يتم اعتماده توظيف "لعل" في النص القرآني، إذ على الرغم من أنه نص لغوي إلا انه بقي محبوسًا في القدسية الإلهية التي تحيطه، وبذلك بقيت دلالة "لعل" محكومة بإلهية النص فلم يكن تحركها الدلالي حراً بل كان تقييدها بأن الذات الإلهية لا يمكن أن تترجى البشر في أي شيء، وهذا المعنى جعلها محبوسة وقاصرة باتجاه معين فلا يمكن تفسير النص الذي يحوي هذه الأداة بحرية كما هي بعض الآيات الأخرى، وذلك لحساسية دلالة هذا الحرف.

في حين يلاحظ التنوع على اسمها وخبرها بين الجملة الفعلية والاسمية وغيرها، فقد ورد في اسمها أن يكون ظاهراً كما في قوله تعالى: ﴿**لعل الله**

يحدث بعد ذلك أمراً﴾ (الطلاق١) أو قد يرد ضميراً متصلاً كما في قوله تعالى: ﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ (الشعراء٣)، في حين ورد خبرها مفرداً في خمسة مواضع فقط كما في قوله تعالى: ﴿وإن أدري لعله فتنةٌ لكم ومتاع إلى حين﴾ (الأنبياء١١١)، لكنه ورد مركباً كجملة فعلية فعلها مضارع في سائر مواضع ذكره، أي في مئة وأربعة وعشرين موضعاً كما في قوله تعالى: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (النحل٧٨)، وتكون الجملة الفعلية موزعة على الشكل الآتي:

١- خبر لعل جملة فعلية وفعلها مضارع لجماعة الغائبين، فقد احتوى النص القرآني على ما يقارب ٣٢موضعاً، كما في الايات الآتية: ﴿لعلهم يرشدون﴾ (البقرة١٨٦)، ﴿لعلهم يرجعون﴾ (آل عمران٧٢).

٢- خبر "لعل" جملة فعلية متصدرة بفعل مضارع للمفرد المتكلم، إذ تناول النص القرآني هذا النوع في ثلاثة مواضع وهي على الشكل الآتي:

أ- قال تعالى: ﴿لعلي أعمل صالحاً...﴾ (المؤمنون١٠٠).

ب- قال تعالى: ﴿لعلي أطلع إلى إله موسى...﴾ (القصص٣٨).

ج- قال تعالى: ﴿لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات...﴾ (غافر٣٦-٣٧).

٣- ورود خبر لعل جملة فعلية متصدرة بفعل مضارع للمفرد الغائب في مكان واحد كما في قوله تعالى: ﴿لا تدري لعل الله يُحدثُ بعد ذلك أمراً...﴾ (الطلاق١).

٤- خبر "لعل" جملة فعلية متصدرة بفعل مضارع من الثلاثي المجرد الصحيح، وقد احتوى النص القرآني على ما يقارب ٢٣موضعاً من هذا النوع من الخبر كما هو موضح في بعض الآيات الآتية:

أ- قال تعالى: ﴿لعلكم تعقلون... ﴾ (البقرة٧٣).

ب- قال تعالى: ﴿لعلهم يرشدون... ﴾ (البقرة١٦٨).

ج- قال تعالى: ﴿لعلهم يرجعون... ﴾ (آل عمران٧٢).

٥- خبر "لعل" هو جملة فعلية وفعلها مضارع من الثلاثي المزيد فيه من باب "أفعل يفعل" وقد ضم النص القرآني هذا النوع من الخبر ما يقارب على "١٣" موضعاً، كما الآيات الآتية:

أ- قال تعالى: ﴿لعلكم تُفلِحُون... ﴾ (البقرة١٨٩).

ب-قال تعالى: ﴿لعلكم تُسلِمُون... ﴾ (النحل٨١).

ج- قال تعالى: ﴿لعلكم بلقاء ربكم تُوقِنُونَ... ﴾ (الرعد٢).

٦- خبر لعل جملة فعلية متصدرة بفعل مضارع من الثلاثي المزيد فيه من باب "افْتَعَل يَفْتَعِلُ".

إذ اشتمل الأسلوب القرآني على هذا النوع من الخبر في "١٣" موضعاً، منها:

أ- قال تعالى: ﴿لعلكم تتقون... ﴾ (البقرة٢١).

ب- قال تعالى: ﴿لعلكم تهتدُون... ﴾ (البقرة٥٣).

ج- قال تعالى: ﴿لعلكم تصطلون... ﴾ (النمل٧).

٧- خبر "لعل" جملة فعلية متصدرة بفعل مضارع من الثلاثي المزيد فيه من باب "تَفَعَّلَ يَتَفَعَّل" وقد احتوت النصوص القرآنية على ما يقارب من ١٢ موضعاً، منها:

أ- قال تعالى: ﴿لعلكم تتفكرون... ﴾ (البقرة٢١٩).

ب- قال تعالى: ﴿لعلهم يتذكرون... ﴾ (البقرة٢٢١).

ج- قال تعالى: ﴿لعلهم يضَّرَّعون... ﴾ (الأعراف ٩٤).

٨- خبر لعل جملة فعلية متصدرة بفعل مضارع مبني للمجهول إذ اشتمل النص القرآني على ما يقارب عشرة مواضع، منها:

أ- قال تعالى: ﴿لعلكم تُرحَمُوْنَ... ﴾ (آل عمران١٣٢).

ب- قال تعالى: ﴿لعلهم يُنْصَرُوْنَ... ﴾ (ياسين٧٤).

ج- قال تعالى: ﴿وارجعوا إلى ما أُترِفتُم فيه ومساكنكم لعلكم تُسئَلُونَ... ﴾ (الأنبياء١٣).

٩- خبر لعل جملة اسمية مبدوءة بـ"تكون"، فقد تضمنت لعل خبراً وهو جملة اسمية في موضع واحد فقط وهي في قوله تعالى: ﴿وما يدريك لعل الساعةَ تكون قريباً... ﴾ (الأحزاب٦٣).

في حين جاء خبر لعل مفرداً على الصيغ الآتية:

١- خبر لعل مفرداً مشتق اسم الفعل في أربعة مواضع، وهي كالآتي:

أ- قال تعالى: ﴿لعلي آتيكم منها... ﴾ (طه١٠).

ب- قال تعالى: ﴿فلعلك باخع نفسك... ﴾ (الكهف٦).

ج- قال تعالى: ﴿لعلك باخع نفسك... ﴾ (الشعراء٣).

د- قال تعالى: ﴿فلعلك تارك بعض... ﴾ (هود١٢).

٢- ورود خبر لعل اسم مصدر في موضع واحد وهو في قوله تعالى: ﴿وإن أدري لعله فتنةٌ لكم... ﴾ (الأنبياء١١١).

٣- مجيء خبر "لعل" مشتق وهو كصفة مشبهة في موضع واحد كما في قوله تعالى: ﴿وما يدريك لعل الساعةَ قريبٌ﴾ (الشورى١٧)[١].

في حين لوحظ أن خبرها لم يقترن بـ"أن" أو "التسويف"بينما لم يكن خبرها مقترناً بجملة فعلية فعلها ماضي البتة، وأما لعل فقد وردت في القرآن على لغة واحدة فقط، ولم ترد على بقية اللغات الأخرى وهي على لغة "لعلّ" بالعين المهملة بين لامين وهذا رجح صواب رأي الكوفيين في إفرادها وأصالة لامها[٢].

١- انظر: عبدالمجيد، أبو سعيد محمد، **الأحرف المشبهة بالفعل في القرآن الكريم، دراسة صرفية ونحوية**، ماليزيا: مركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ط١، ٢٠٠٤م، ص٣٠٣-٣٠٧.

٢- انظر: سلطاني، محمد علي، **الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم**، ص١١٩.

الخاتمة

وفي نهاية البحث المستفيض والدراسة اللازمة لاستعمال "لعل" في النحو العربي وتطبيقاتها في القران الكريم، توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١- أن استعمال لعل في التراث العربي بشكل عام لم يتجاوز توظيف لغتين فقط من لغات لعل وهي "عل ولعل".

٢- أن توظيف لعل في القرآن الكريم اقتصر على استعمال لغة واحدة لها، وهي "لعل".

٣- أن استعمال لعل في القران اقترن بخروج معناها إلى معان مجازية أخرى بينما بقيت لعل تحمل المعنى نفسه في استعمال الشعر والنثر.

٤- أن للسياق دوراً بارزاً في توجيه معنى لعل في النص القرآني لتؤدي دلالات متعددة لا تحملها في طياتها.

المراجع والمصادر

- ابن الأنباري، أبو البركات، (٢٠٠٢م)، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين**، تحقيق: جودة مبروك محمد جودة، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط١.
- ابن الانباري، عبدالرحمن بن محمد بن عبيدالله، (١٩٩٧م)، **أسرار العربية**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، لبنان: منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، ط١.
- ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان، (د ت)، **الإيضاح في شرح المفصل**، تحقيق: موسى بناي العليلي، بغداد، مطبعة العاني، سلسلة إحياء التراث الإسلامي رقم٥٠، وزارة الأوقاف بغداد.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (د ت)، **لسان العرب** ، بيروت: دار صادر.
- أبو المكارم، علي، (٢٠٠٨م)، **الحذف والتقدير في النحو العربي**، مصر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١.
- الآلوسي، شهاب الدين، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، بيروت: إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي.
- الأندلسي، ابن حيان، (١٩٩٨م)، **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط١.

- الأنصاري، ابن هشام، (٢٠٠٠م)، **المغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: عبداللطيف محمد الخطيب، الكويت: السلسلة التراثية، ط١.
- بابو، غياث محمد، (٢٠٠٩م)، **الجملة الإنشائية بين التركيب النحوي والمفهوم الدلالي**، (بحث دكتوراه غير منشور)، سوريا: جامعة تشرين كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية.
- البب، إبراهيم، وبابو، غياث أحمد، (٢٠٠٨م)، **أصول الدلالة التركيبية في التمني والترجي**، (بحث منشور)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد ٣٠، العدد ٢.
- ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله، (١٩٨٠م)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد، القاهرة: دار التراث، ط٢٠.
- الجراح، عبدالمهدي هاشم، (٢٠٠٩م) **العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية**، الأردن: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٧٧، "بحث منشور".
- حسان، تمام، (١٩٩٣م)، **البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني**، القاهرة: عالم الكتب، ط١.
- الرضي، محمد بن الحسن الإستراباذي السمنائي النجفي، (د.ت)،

شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، (د.ت)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: مكتبة دار التراث.
- الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، (١٩٩٨م)، **تفسير الكشاف**، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي معوض، الرياض: مكتبة العبيكان، ط١.
- سلطاني، محمد علي، (٢٠١٠م) **الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم**: عرض وتحليل، دمشق: دار العصماء، ط١.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، (د ت)، الكتاب، لبنان: دار الجيل.
- السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن، (د.ت)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، مراجعة: أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية.
- السيوطي، الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، (١٩٩٨م)، **همع الهوامع**، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت لبنان: منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، ط١.
- السيوطي، جلال الدين، (١٩٨٧م)، **الأشباه والنظائر في النحو**، تحقيق: غازي مختار طليمات، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية

بدمشق.

- الشريف، محمد حسن، (١٩٩٦م)، **معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١.

- الصغير، محمود أحمد، (٢٠٠١م)، **الأدوات النحوية في كتب التفسير**، لبنان: دار الفكر المعاصر، ط١.

- عبدالباقي، محمد فؤاد، (د.ت) **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، القاهرة: دار الكتب المصرية.

- عبدالمجيد، أبو سعيد محمد، (٢٠٠٤م)، **الأحرف المشبهة بالفعل في القرآن الكريم، دراسة صرفية ونحوية**، ماليزيا: مركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ط١.

- عبده، داود، (١٩٩٨م) **التطبيق النحوي**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط٢.

- عرابي، أحمد، (٢٠٠٣م)، **أثر حروف المعاني في تعدد المعنى**، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق العدد٩٨، سنة٢٣/آذار.

- عضيمة، عبدالخالق، (د.ت) **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، القاهرة: دار الحديث، دار الحديث.

- فخر الدين، محمد الرازي، (١٩٨١م)، **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع، ط١.

- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، (١٩٨٣م) **معاني القرآن**، بيروت، عالم الكتب، ط٣.

- قباوة، فخر الدين، (٢٠٠٢م)، **التحليل النحوي أصوله وأدلته**، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١.

- القزويني، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن، (٢٠٠٣م)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، بيروت لبنان: منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، ط١.

- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (١٩٩٤م)، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، القاهرة: مطبعة الأهرام، ط٣.

- محمود، المثنى عبدالفتاح، **نظرية السياق القرآني (دراسة تأصيلية دلالية نقدية)**، الأردن: دار وائل، ط١، ٢٠٠٨م.

- المرادي، الحسن بن قاسم المرادي، (١٩٩٢م)، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: د.فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط١.

- المناع، عرفات فيصل، (٢٠١٣م)، **السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي**، لندن: مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،

ط١.

- النحوي، ابن علي بن يعيش، (د.ت)، **شرح المفصل**، مصر: إدارة الطباعة المنيرية.

- الهلالي، هادي عطية مطر، (١٩٨٦م)، **الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين**، بيروت: عالم الكتب، ط١.